قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (لسانيات عربية) سنة ثالثة، تخصص: لسانيات عامة

إعداد الأستاذة: هندة كبوسي

المحاضرة رقم: 04

يوم: 2021/01/15

عنـــوان المحاضرة: الفكر اللساني في التراث

الهدف من المحاضرة:

-تعرف الطالب على القيمة العلمية للتراث اللغوي العربي.

محاور المحاضرة:

1-الفكر اللساني في التراث.

1-1-الدراسات الصوتية.

2-المستوى النحوي.

3-المستوى المعجمي.

4-المستوى الدلالي.

1-الفكر اللساني في التراث: إنّ مما اطرد عند الدّارسين اللغويين أن الحضارة العربية لم تفرز في مجال اللغويات سوى علما تقنيا، منطلقه وغايته نظام اللغة العربية في حدّ ذاتها لا غير. والواقع أنه ليس من أمة فكرت في قضايا الظاهرة اللغوية عامة وما قد يحركها من نواميس مختلفة إلا وقد انطلقت في بلورة ذلك من النظر في لغتها النوعية.

إذن القضية مردّها قدرة أمة من الأمم على تجاوز ضبط لغتها وتقنينها لإدراك مرتبة التفكير المجرد في شأن الكلام باعتباره ظاهرة بشرية كونية، تقتضي الفحص العقلاني بغية الكشف عن نواميسها الموحّدة، والحضارة العربية قد أدركت تلك المرتبة، فكّر أعلامها في اللغة العربية فاستنبطوا منظومتها الكلية وحدّدوا فروع دراستها بتصنيف لعلوم اللغة وتبويب لمحاور كل منها. فكان من ذلك جميعا تراثهم اللغوي في الأصوات والنحو والمعجم والدلالة وغيرها، والذي سنعرضه في ما يأتي بشيء من الإجمال.

1-1-الدراسات الصوتية: يمكن لأقل الناس إلماما بالرصيد اللساني في التراث العربي أن يدرك أنّ هذا الجانب قد حظي باهتمام خاص لدى الدّارسين الأقدمين على اختلاف توّجهاتهم العلمية، من قراء ونحاة وفلاسفة، وأحسن دليل على ذلك أن الاهتمام بالظاهرة الصوتية كان هو الأساس الأول المعوّل عليه في وضع المعايير التأسيسية للنحو العربي، ولأدّل على ذلك قصة أبي الأسود الدؤلي (ت 68 هـ) مع كاتبه حينما همّ بوضع ضوابط لقراءة القرآن، إذ قال له: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وان كسرت فاجعل النقطة تحت...

ولقد اهتم النحويون بعدّة قضايا صوتية وصرفية، و شغلت الفصول الصوتية بخاصة باب الإدغام، إذا كان البحث الصوتي عند سيبويه أساسا لتفسير عدد من الظواهر الصوتية الصرفية، وفي مقدمتها ظاهرة الإدغام، كما كان عند الخليل مدخلا للإعجام، وعند مؤلفي كتب القراءات وسيلة لوصد ظواهرها الصوتية.

أما الكتاب الوحيد الذي ألّف في الدراسات الصوتية وحدها فهو كتاب "سر صناعة الإعراب" لابن جني، ومن أهم الموضوعات التي ركز عليها ابن جني في كتابه هذا عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها، وبيان الصفات العامة للأصوات وتفسيرها باعتبارات مختلفة، وكذا بيان ما يُعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو الحذف...، كاشفا عن نظرية في فصاحة اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج.

أما أهم النتائج التي توصل إليها العرب فهي باختصار:

1-وضع أبجدية صوتية للغة العربية، رتّبت أصواتها بحسب المخرج ابتداء من أقصى الحلق حتى الشفتين.

2-تسمية أعضاء النطق بأسمائها (رئة، حلق، حنجرة...)، وتقسيم الحلق إلى (أقصى، وسط، أدنى)، واللسان إلى (أصل، أقصى، وسط، ظهر، حافة...)

3-تقسيم الأصوات إلى شديدة ورخوة باعتبار مجرى الهواء، ووضع قائمة بأصوات كل نوع.

4-تقسيم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة باعتبار وجود رنين يصعب نطق الأصوات.

5-تقسيم الأصوات إلى صحيحة ومعتلة على أساس اتّساع المخرج مع العلة دون الصحيحة، كما اهتدوا إلى الصفات التي تميّز بعض الحروف كاللام الذي وصفوه بالمنحرف والراء التي وصفوها بالمكرّر وهكذا.

6-الائتلاف بين الحروف وكيفية بناء الكلمة العربية.

إنّ الرقي الذي بلغة الفكر العربي في مجال الدراسة الصوتية منذ القرن الثاني للهجرة جعل بعض الباحثين الغربيين يفترض وجود اقتباس واسع من حضارات سابقة تتمتّع بمفاهيم لسانية متطورة، مثل الحضارة اليونانية والحضارة الهندية وفي هذا السبيل حاول الباحث فولرز (K.Volers) تبيين بعض نقاط التقاطع بين جهود (بانيني) في مجال الدراسة الصوتية والعلوم الصوتية العربية التي أنشأها الجيل الأول من النحويين العرب أمثال الخليل، وقد شايع هذا الرأي بعض الباحثين العرب من أمثال إبراهيم أنيس، أما (بروكلمان) فقد رفض هذا الرأي القائل بتأثر العرب بالدراسات النحوية والصوتية للحضارات القديمة، عادّا علم الأصوات عند العرب ظاهرة علمية أصيلة قائمة بذاتها في الفكر العربي الإسلامي، وعلى صعيد البحث الصرفي والتركيبي، فقد كان لتفشي اللحن في العربية على ألسنة المسلمين الجدد، وخوف العرب من وقوعه في القرآن دافعا لتحريك المشاعر والعقول لوضع النحو، وإن لم يكن هذا السبب لوحده كافيا فهناك بواعث أخرى حفزت إلى ذلك الجهد العلمي، فالسعي إلى فهم النص القرآني الكريم والتعرف على أسراره المعنوية كان هدفا يتوخاه كل مسلم.

2-المستوى النحوي:

إنّ حاجة المسلمين من غير العرب إلى نظم العربية والتقيد بكتابها الخالد، والحرص أول الأمر على تعلمها دعاهم إلى وضع القواعد التي تضبط الاستعمال اللساني للغة العربية الصحيحة، وتكاد الروايات تتفق على أنّ أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع النحو بعد أن أخذه عن علي بن أبي طالب، وعلم النحو المقصود هنا هو قواعد تعرف بها وتضبط أواخر الكلم إعرابا وبناء، وهو ما يعرف بعلم الإعراب، أما علم الصرف فيبحث في التغيرات التي تلحق بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي، ويراد ببنية الكلمة هيئتها أو صورتها الملحوظة من حيث حركتها وسكونها وعدد حروفها، وقد كان من الطبيعي أن يبدأ علماء العربية في جمع ألفاظها قبل أن يضعوا قواعدها، ولهذا يرجع المؤرخون البحث النحوي بالمعنى الفني

لكلمة "نحو" إلى فترة تالية لجمع اللغة، لأن تقعيد القواعد ما هو إلا فحص لمادة لغوية تم جمعها بالفعل ومحاولة لتصنيفها واستنباط الأسس والنظريات التي تحكمها، ويعد سيبويه المقنّن الأول لمنظومة النحو العربي من خلال كتابه "الكتاب"، الذي يشيد بقيمته المازني في قوله "من أراد أن يعمل كتابا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح"، وعلى الرغم من نسبة الكتاب إلى سيبويه فإنّ دور الخليل فيه لا يجحد، حتى إنّ هناك من قال إنّ الأوفق أن ينسب الكتاب للخليل، يقول أحدهم "اجتمع على صفة الكتاب اثنان وأربعون إنسانا منهم سيبويه، والأصول والمسائل للخليل"، كما اعترف جميع الدّارسين بمدرستين نحويتين هما مدرستي البصرة والكوفة، وأقروا بأسبقيتهما في الدراسات النحوية تنظيرا وتطبيقا، وأصناف آخرون من أمثال مهدي المخزومي وبروكلمان وشوقي ضيف وغيرهم مدارس أخرى في بغداد والشام والأندلس والمغرب.

3-المستوى المعجمي:

لقد بدأت حركة التأليف في المعاجم انطلاقا من رسائل الموضوعات، وهي رسائل صغيرة من حيث كم المادة اللغوية التي تتوافر عليها أسهمت في نشأة المعاجم الكبيرة إسهاما فعالا، وذلك في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، ويطلق عليها معاجم المعاني، وقد جاءت هذه الرسائل بخاصة مستقلة أو خصص لها أبواب وفصول في الكتب العامة، وهي عبارة عن معاجم بنيت على المعاني.

لقد تبلور المعجم على يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجم العين، وتتجلّى وظائف المعجم بشكل عام في شرح الكلمة وبيان معناها السياقي، وبيان كيفية نطقها وضبطها بالشكل، وتحديد الوظيفة الصرفية لها.

وقد قسمت المعاجم العربية إلى ثلاثة أنواع بالنظر إلى منهج التبويب وهي:

أ-نوع رتّب الكلمات بحسب مخارج الأصوات وطريقة التقاليب مثل معجم العين للخليل، وتهذيب اللغة للأزهري والمحكم لابن سيدة.

ب-نوع رتّب الكلمات ترتيبا أبجديا بحسب الأصل الأول والأخير للكلمة مثل الصحاح للجوهري ولسان العرب لابن منظور.

جـ-نوع رتّب الكلمات بحسب الموضوعات مثل فقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيدة.

4-المستوى الدلالي:

لقد كانت الدراسة الدلالية من أولى فروع البحث اللغوي العربي ظهورا، عندما نزل القرآن يتحدى العرب ببيانه وإعجازه، حاملا بين طيّاته ثورة أدبية اجتماعية وأخلاقية ومعرفية ولغوية. فتحدّاهم في أعزّ ما يملكون ويعرفون، وبه يتفاخرون، فقامت الدراسات حول هذا الكتاب المعجز، تبحث في دلالات ألفاظه، فتنوعت وتعدّدت، وكان منها البحث في غريب ألفاظه، وقد تأسست هذه الدراسات على منهج وصفي استقرائي يتتبّع اللغة في ألفاظها قصد تحديد المعاني التي يتوقف على فهمها فهم الكتاب، فكان البحث في دلالة الكلمات من أهم ما لفت نظر اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، وفي هذا السياق تعد الأعمال اللغوية المبكرة من مباحث علم الدلالة مثل: تسجيل معاني الغريب في القرآن، والحديث عن مجاز القرآن، والتأليف في الوجود والنظائر في القرآن، وإنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ، وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملا دلاليا مهما قام على أسس علمية ومنهجية لا تختلف عن كثير مما وصلت إليه نظريات الدلالة الحديثة.

لقد تنوعت اهتمامات العرب بعد ذلك فغطت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية من ذلك محاولة ابن فارس الرائدة في معجمه المقاييس، إذ ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها، ومحاولة الزمخشري في معجمه أساس البلاغة التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية، ومحاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد كما عقد الأصوليون أبوابا للدلالات في كتبهم تناولت موضوعات متنوعة مثل: دلالة اللفظ، دلالة المنطوق والمفهوم، وتقسيم اللفظ من حيث العموم والخصوص، والترادف والتضاد والاشتراك، ودلالة التضمن والالتزام والمطابقة، بالإضافة إلى دراسات وإشارات كثيرة المعنى في مؤلفات الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد والخوارزمي وابن جني وغيرهم. أما البلاغيون فتمثلت جهودهم في دراسة الحقيقة والمجاز، ودراسة كثير من الأساليب كالأمر والنهي، من ناحية علاقة التركيب بالمعنى في السياق، وفي نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني مثال حي على مركزية البحث الدلالي في الدرس البلاغي العربي، إذ تعد بؤرة الدرس الدلالي العربي، بالإضافة إلى عنايتهم الفائقة بالمعنى السياقي وعلاقة المقال بالمقام.

قائمة المراجع:

-عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1982.

-نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009.

-حافظ اسماعيلي علوي،اللسانيات في الثقافة العربية